



السحر والنزوح

جيف كريسب

ثمة علاقة طويلة وموثقة بشكل جيد بين النزوح الإنساني وادعاءات السحر

ضد اللاجئين والنازحين داخلياً والعائدين الذين وصلوا مجتمعاتهم، تنشأ أشكال من التوتر بين المجموعتين تعرقل عملية اندماج أو إعادة اندماج هؤلاء. ومن ثم، فإن مزاعم ممارسة السحر تضعف من هدف مفوضية شؤون اللاجئين الأساسي وهو خلق 'مناخ داعم للحماية'.

■ بات الآن يتم استخدام مزاعم ممارسة السحر كأساس لطلبات اللجوء في البلدان الصناعية. كذلك فإن هناك قرائن مقلقة تشير إلى أن أعداد حالات إساءة معاملة الأطفال والمرتبطة بمزاعم ممارسة السحر وطالبي اللجوء الصغار باتت في تصاعد.

■ ثمة أدلة تشير إلى عدم تمتع بعض اللاجئين وطالبي اللجوء بخدمات الرعاية الصحية لأنهم يعززون مرضهم للسحر.

٥- إن فهمنا لهذه القضية فهم محدود. ورغم ما نجده على سبيل المثال من إشارات متناثرة لمزاعم ممارسة السحر في وثائق مفوضية شؤون اللاجئين، إلا أننا لم نجد من يخضع هذه الظاهرة واستجابة المجتمع الإنساني لها لدراسة منسقة.

وقياماً على ما سبق، تخطط دائرة وضع السياسات والتقييم التابعة لمفوضية شؤون اللاجئين لتولي عملية توثيق لهذا الموضوع ومراجعتها في الأدبيات الخاصة به في مسعى منها للخروج بفهم أفضل لنطاق وتداعيات هذه القضية. ومن يرغب في المساهمة في هذه المبادرة فليفضل على الراحب والسعة بمراسلة المؤلف على العنوان البريدي crisp@unhcr.org.

جيف كريسب (crisp@unhcr.org) هو رئيس دائرة وضع السياسات والتقييم التابعة لمفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين (www.unhcr.org/pdes/).

١. بيتر شارلز هوفر 'محاكمات السحرة في بلدة سالم' www.mrellingson.com/Puritan%20PDFs/Salem%20Witch%20Trials%20Cotton%20Mathers.pdf

إلى مواطنهم. ففي السودان مثلاً، وقع فريق التقييم على أمثلة رُمي فيها المحليون العائدون بممارسة السحر وجلب فيروس نقص المناعة المكتسبة/ الإيدز معهم إلى المجتمع. وقد التقى فريق التقييم الذي زار أنجولا إحدى المنظمات غير الحكومية التي قال لهم مسؤولوها أنهم أجبروا على إنشاء 'منزل آمن' لحماية النساء العجائز اللاتي رُمين بتهمة ممارسة السحر.

ومدفوعة بهذه الحقائق، أجرت دائرة وضع السياسات والتقييم (PDES) عملية تقييم سريعة جداً للمعلومات الحالية عن حماية اللاجئين ومزاعم السحر. وقد توصلت الدائرة إلى ما يلي:

١- تبين أن إطلاق مزاعم ممارسة السحر هو ظاهرة متكررة وتحدث تقريباً في جميع أوضاع اللاجئين والنازحين داخلياً والعائدين من النزوح.

٢- النساء والأطفال والعجائز هم أكثر المتأثرين بمزاعم ممارسة السحر، رغم أنها تطال كذلك الذكور البالغين.

٣- رغم أن التعامل مع مزاعم ممارسة السحر يتم أحياناً من خلال أنظمة العدالة الرسمية، إلا أن أكثر أشكال التعامل معها تتسم بالتعسف والعشوائية من حيث 'العدالة' والعقاب.

٤- تؤثر مزاعم ممارسة السحر أثراً ضاراً على حماية النازحين بعدد من الطرق:

■ غالباً ما يعاني اللاجئون والنازحون داخلياً وطالبي اللجوء المتهمين بممارسة السحر من تهديدات خطيرة تمس سلامتهم النفسية والبدنية وسلامة ممتلكاتهم.

■ عندما تطلق المجتمعات المستضيفة والسكان المحليين مزاعم ممارسة السحر

في أواخر القرن السابع عشر، حدثت محاكمات الساحرات في بلدة سالم في نيو إنجلاند (والتي أدت إلى موجة من عمليات الإعدام والسجن) في منطقة تأثرت بشكل خطير جراء العنف والهجرة القسرية. فوفقاً لما جاء على لسان أحد المؤلفين عن تاريخ هذه الحقبة:

«تقع مدينة ومرفأ سالم في مقاطعة إيسيكس إلى جوار المنطقة التي تدور رحى الحرب فيها. ولذا هرع إلى المقاطعة المئات من اللاجئين المذعورين من القرى الواقعة في الشمال والغرب والتي تعرضت لغارات الفرنسيين والهنود. وقد انتشر هؤلاء النازحون في جميع أرجاء الناحية، ومنهم مجتمع مزارعي قرية سالم في الغرب».

وبعدها بثلاثمائة عام، وفي أكتوبر ٢٠٠٧، أصدرت مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين بياناً صحفياً أشار إلى أن ظاهرة ادعاءات السحر باتت تواصل ارتباطها بنزوح السكان. وجاء في البيان الصحفي، والمعنون 'ادعاءات السحر تجتاح مخيمات جنوب تشاد، ما يلي:

«عندما وقع ١١ لاجئاً فريسة للمرض ولقوا حتفهم خلال أسبوع واحد في بداية هذا العام في مخيم دوسي للاجئين في جنوب تشاد، انطلقت ادعاءات السحر كالنار في الهشيم بين سكان المخيم وأدت إلى نشوب اعتداءات وحرائق. وفي إحدى هذه الحالات، لقي ثلاثة إخوة حتفهم في أقل من ساعة، وتعرضت أذكارا، وهي أم متملة لثمانية أبناء في المخيم، لاعتداء قام به ١٥ شخصاً آخرين عليها متهمين بإيها بأنها ألقت اللعنة على الأطفال».

وقد أظهرت إحدى بعثات التقييم التي أرسلتها مفوضية شؤون اللاجئين حديثاً إلى أنجولا وجنوب السودان أن ادعاءات السحر قد تتحول إلى قضية مهمة من قضايا الجنس والحماية عند عودة هؤلاء اللاجئين